الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية 1954ـ 1956

د. مقلاتي عبد اللّه

قسم التاريخ ـ الجامعة الافريقية .أدرار

تمهـيد

لقد سبقت انتفاضة المقاومين التونسيين اندلاع الثورة الجزائرية بأكثر من سنتين، غير أن تشابك العلاقات بين المناضلين الوطنيين والاحتكاك الجغرافي أدى الى الشعور بخطر عدوى انتقال الثورة الى الجزائر وأثره على مشروع التسوية السلمية للقضية التونسية، خاصة وأن الانتفاضة الجزائرية كانت لها انعكاسات كبرى على المحميتين المجاورتين، اذ كان للثورة الجزائرية وقعها المؤثر على تسارع الأحداث باتجاه تشدد المواجهة وتوحيد الجبهة المغاربية في وجه العدو المشترك, وكان لها الفضل الأكبر في حمل التونسيين للعودة من جديد لحمل السلاح وحسم الموقف مع الإدارة الفرنسية عسكريا وتشكيل جيش التحرير التونسي، ونحاول في ظل ما توفر لدينا من مصادر استعراض علاقة الثورة الجزائرية بالمقاومة التونسية خلال المرحلتين الحاسمتين: مرحلة المقاومة الأولى التي انتهت بالتوصل إلى اتفاقية الاستقلال الذاتي, ومرحلة المقاومة الثانية التي نشط فيها الطاهر لسود جيش التحرير التونسي لمواصلة التحرير المغاربي بالتنسيق مع الثورة الجزائرية.

أولا ـ الثورة التونسية الأولى والعلاقات الجزائرية التونسية.

لفهم تطورات هذه المرحلة المتداخلة الأحداث,يتوجب علينا استعراض تطورات القضية التونسية المتزامنة مع اندلاع الثورة

الجزائرية ,وكذا مظاهر التضامن المتبادلة بين الجزائريين والمقاومة التونسية, والتعرف على جهود الثورة الجزائرية التنسيقية مع التونسيين.

لم يكن ارتباط القضيتين التونسية والجزائرية نابعا من شعور الوحدة والتضامن المنبعث من مبادئ لجنة ومكتب تحرير المغرب العربي فحسب، فقد أصبح مؤكدا أن القضية التونسية كانت في أمس الحاجة إلى تحرك الجزائريين، مثلما كانت الثورة الجزائرية بحاجة إلى دعم التونسيين واستمرارهم في المعركة ،إذ اندلعت الثورة في تونس منذ عام 1952 ,واشتدت وبدأت تحقق مكاسب هامة استغلها قادة الحزب الدستوري الحر في الدعاية لقضيتهم والحصول على الاستقلال ،وذلك دون إغفال ضغط القضيتين الجزائرية والمغربية في فرض التفاوض مع فرنسا , ففي رسالته إلى الحزب الدستوري الحر دعي علي البلهوان ([1]) في جوان 1954 إلى ضرورة دعم القضية الجزائرية لتعزيز القضية التونسية, وذلك عن طريق "الدعاية لها ,خاصة وأن الاستعمار الفرنسي سائر في غيه مسترسل في سياسته في جميع المغرب فينبغي أن نوسع رقعة الكفاح وأن نضرب في الصميم "([2]), وعندما

1 - علي البلهوان (1909- 1958)، مناضل كان يمثل الحزب الدستوري في القاهرة .

2 - أنظر ،شهادة الرشيد إدريس : بناء المغرب العربي، ملتقى نظمه مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس ، اكتوبر 1981، المطبعة العصرية ،تونس ،1983، ص35 .

كان بورقيبة في إقامته بباريس كان يطلب من المناضلين الجزائريين بإلحاح ضرورة فعل شيء ما, وقد أخذ هذا العنصر بالاعتبار كنقطة ارتباط في العلاقات الجزائرية التونسية(3) ,من جهة أخرى كان قادة الثورة الجزائرية في الداخل وفي القاهرة يجتهدون عشية التحضير للثورة في التنسيق مع الثوار التونسيين ,وكسب موقفهم لصالح ثورة موحدة تشمل أقطار المغرب العربي, وقد فاجأتهم مبادرة فرنسا بإعلان استقلال تونس الداخلي كما يؤكد احمد بن بلة(4)، فهذه التسوية المبدئية التي قبل بها بورقيبة مثلت ضربة لمبادئ التنسيق المشترك والاتفاقات المغاربية التي وقع عليها بورقيبة نفسه، وتدعو إلى عدم قبول الحلول الجزئية و التمسك بالحل الشمولي لكافة أقطار المغرب العربي، وقد اعتبرها كثير من قادة الحزب الدستوري الحر ورجال المقاومة خيانة للتضحيات التي قدمها التونسيون ،ورفضها المقاومون فلم يستجيبوا لنداء تسليم الأسلحة الذي دعا إليه بورقيبة ،وانتقدها قادة الحزب في القاهرة ،ومنهم علي البلهوان والرشيد إدريس وصالح بن يوسف، لكنهم لم يجاهروا بمعارضتها في ظل تطمينات بورقيبة الذي عد ذلك خطوة أولى مهمة في إطار سياسة خض

3 - أنظر التقرير السياسي للحكومة الجزائرية المؤقتة(أوت 1959)
Mohammed HARBI, Les Archives de la révolution algériénne ,Ed, Jeune Afrique Paris p.226

4 - أنظر KHALIFA Mohamed, Ahmed ben Bella Itinéraires .Ed.,Elbadil ,Alger 1988 , p.178.

وطالب، ولعل موقفهم هذا يرجع كذلك إلى الصعوبات التي كانت تجابه العمل العسكري، وإلى قناعته بخصوصية القضية التونسية التي أقرتها لجنة تحرير المغرب العربي في افريل 1954([5])، وبالمقابل نددت العناصر المتمسكة بخيار العمل العسكري الشمولي بالحل الذي تنتهجه القضية التونسية المناقض لاتفاقات الكفاح المشتركة المتفق عليه، وقد اتهم المناضل حسين التريكي بورقيبة بأنه فوت على التونسيين فرصة قيام ثورة عارمة ضد فرنسا تخوضها أقطار المغرب العربي من الأطلسي إلى الحدود الليبية .([6])

إن الإدارة الفرنسية اجتهدت في إيجاد تسوية سياسية تقر بمنح الاستقلال الذاتي مبدئيا لتونس، تماشيا مع الظروف المستجدة، لكن كيف أمكن لفرنسا أن تحقق أهدافها؟ وما هي تأثيرات حدث اندلاع الثورة الجزائرية؟

اندلعت الثورة المسلحة في تونس عام 1952 إثر تأزم القضية التونسية وتسليط سياسة القمع، بدأت بإمكانيات بسيطة معتمدة أسلوب حرب العصابات، وبعضها كان موجها من قبل قادة الحزب

---

5 -ألح الممثلون التونسيون في طرح هذه المسالة, وقد تم ذلك بتوجيه من بورقيبة الذي اقر الحل الانفرادي للمشكلة التونسية, انظر محمد بلقاسم : الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910 .1954, رسالة ماجستير في التاريخ ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 1994، ص.ص، 408 . 411.

6 - انظر, شهادة حسين التريكي ، مسجلة في فيفري 1993 ومحفوظة بالمعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ،منوبة.

الدستوري الحر والبعض الآخر هب بتلقائية أو بتوجيه من الخطابي وما لبث أن احتواهم الحزب كما حدث في المغرب ،وقد اشتدت المقاومة عام 1953، في حين لم تكن حصيلتها بالملفتة للانتباه: 86 قتيلا و 224 جريحا بين عسكريين ومدنيين, يضاف إليهم 92 قتيلا و 33جريحا من أعوان فرنسا (7) وبدأت هذه المقاومة تقلق هاجس الإدارة الفرنسية باستمراريتها وتأثيراتها، فكانت خشية منداس فرانس(Mendes France)كبيرة من أن تتطور الأحداث لتخلق مشكلة جديدة في شمال أفريقيا ، وهذا الشعور نفسه أبلغه إليه مساعده ادغار فور وهو يلح في الاهتمام بتسوية القضية التونسية(8), وفي غمرة أحداث ربيع 1954 كلف منداس فرانس يوم 4 جويلية 1954 ألان سافاري بمباشرة الاتصالات مع بورقيبة للخروج من المأزق الجديد, وتبين له انه بإلامكان التعويل على هذا الرجل، وقد توصلت المباحثات إلى وقف المقاومة وتمكين تونس من الحكم الذاتي مقابل الحفاظ على مصالح فرنسا بالإيالة (9), وكانت خطوة مفاجئة للجميع لكنها لم تكن نهاية الحل للمشكلة التونسية ، ذلك أن نداء الباي بوقف القتال ومنح "بواي دي لاتور"

7 - عميرة علية الصغير : المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينيات ، أطروحة ماجستير, كلية الآداب والعلوم الإنسانية ,جامعة منوبة, تونس, 1998 ،ص111

8- Faure EDGAR ,Mémoires , T 2, Plon, Paris ,1984, P.250

9 - Samia EL MACHAT , Tunisie ,les chemins vers l indépendance (1945-1956) ,l'Harmattan, Paris ,1992 ,p p . 219 - 223

الأمان للمقاومين لم يضع حدا للقتال، كما أن المفاوضات تعطلت في يومها الأول، واندلعت الثورة الجزائرية في هذا الظرف المضطرب، فوجدت فرنسا نفسها أمام خطر حقيقي([10]) .

لقد كان على فرنسا أن تمنع التحام الثوار التونسيين بالثوار الجزائريين كخطوة أولى، وذلك قبل مباشرة المفاوضات الحقيقية لمشروع الحكم الذاتي، وأن تختار بين رهاناتها، فإما التعويل على بورقيبة أو على صالح بن يوسف في المفاوضات من اجل حماية أكبر قدر من المصالح الفرنسية، وكان بورقيبة بمواقفه وتصريحاته الصحفية أقرب للإستراتيجية الفرنسية الهادفة إلى حل مشكلة تونس في إطار استقلال ذاتي يمنح امتيازات واسعة للفرنسيين ويحافظ على الحضور الفرنسي([11])، وقد حسم "منداس فرانس" الموقف في مباحثات سرية عقدها مع بورقيبة أفصح عنها هذا الأخير فيما بعد موضحا أن محدثه ألح عليه في علاج قضية "الفلاقة" الذين يحملون السلاح ويتسببون في تعطيل المفاوضات، وسويت هذه القضية الأساسية التي كانت تهدد باضطراب الوضع في شمال إفريقيا باعتراف الرجلين([12]) وفق الشكل الذي يخدم

10 - انظر ، عروسية التركي : فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة ، مكتبة علاء الدين ، صفاقص ، تونس، 2005 ، ص135

11- Jean LACOUTURE , Cinq hommes et la France , Ed, Seuil, Paris ,1961 , p.175

12 - Habib BOURGHIBA : Ma vie ,mes idées mon combat ,op.cit. Publication du Secrétariat d Etat a l Information ,Tunis ,1977, pp . 303 -304

المخطط الفرنسي: وقف العمليات العسكرية ،تشكيل لجنة مشتركة لتسليم أسلحة الفلاقة مقابل منحهم الأمان وعودتهم إلى ديارهم، وبدء المفاوضات الجدية لتحديد إطار الاستقلال الداخلي لتونس،

وفي 21 نوفمبر 1954 دعا بورقيبة باسم الحزب الدستوري الحر المقاومين إلى تسليم أسلحتهم، وصدر في باريس تصريح مشترك بين المقيم العام وحكومة الطاهر بن عمار التونسية جاء فيه انه بمقتضى الاتفاق المبرم بينهما لن يقع بعد ذلك إزعاج " الفلاقة" أو تتبعهم، وتسلم لكل واحد منهم شهادة صادرة عن المقيم العام ،وستتخذ إجراءات لتسهيل عودة "الفلاقة" إلى استئناف حياتهم العادية بين أهلهم وذويهم ([13]), ويتضح لنا من خلال عنصري السرية والسرعة مدى اضطراب الموقف الفرنسي في معالجة القضية التونسية بمجرد اندلاع الثورة الجزائرية، إذ كان التخوف واضحا من تجذر الخيار الثوري والتحامه بالثورة الجزائر([14])، وسوف يطمئن بورقيبة على تسوية منفردة وسريعة للقضية التونسية، تحت ضغط ثوار الجزائر، لكن هل كان بورقيبة مطلعا عل مخططات

13 - انظر نص التصريح كاملا ، جريدة الصباح ، تونس، عدد يوم 26 نوفمبر 1954.

14 -يسند هذا التحليل لدراسات عديدة منها ،عروسية التركي: المرجع السابق ، ص 133 ، ومولود قاسم نايت بلقاسم : ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر ، دار البعث، قسنطينة ، 1983، ص211 ، والشابي منصف : صالح بن يوسف حياة كفاح ، ط1, دار الأقواس للنشر ، تونس ، 1990 ، ص139 .

السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا، ولماذا لم يضغط أكثر لتحقيق مطامح أكبر بدل الاكتفاء بإنجازات وصفت بأنها لم تكن في مستوى التضحيات التي قدمها المقاومون ،ولماذا لم يفكر في الارتباط بالقضية الجزائرية في حين أنه كان يشجع الجزائريين على الصمود أكثر وهو يفاوض؟.

وعلى الرغم من التلاحم الوطيد بين كفاح البلدين الشقيتين خلال هذه المرحلة إلا أن بورقيبة أقر سياسة قطرية ومضى في تجسيدها, وذلك لاعتبارات عديدة أهمها:

- تأكد بورقيبة من تحقيق نتيجة مهمة اعتمادا على فصل القضية التونسية عن قضايا المغرب العربي وإجراء مفاوضات ثنائية تنسجم مع خصوصية الوضعية التونسية ,التي تختلف عن وضعية الجزائر.

- تجسيد بورقيبة لسياسته البراغماتية والترويج لمذهبه في معالجة المشكلات التحررية ،وهو مبدأ خذ وطالب الذي يعتمد سياسة المراحل، إذ كان يصرح في كل مرحلة من المفاوضات أنه أنجز خطوة مهمة باتجاه الغاية وهي الاستقلال التام، وأن معالجة القضية التونسية السهلة نوعاً ما سيليه معالجة القضية الجزائرية التي تتطلب وقتاً طويلاً حسب ما يوحي به الساسة الفرنسيون .

- تشوق بورقيبة للسلطة ومطامحه المستعجلة إلى أن يسابق خصومه سواء من الحزب أو البايات للوصول إلى تسوية يظهر من خلالها الفاعل الرئيسي و"المجاهد الأكبر"، ولو على حساب بعض

الأهداف الوطنية، وقد خشي أن يتعرض لمصير مصالي الحاج, أو ان يسبقه صالح بن يوسف أو تتقدم عنه زعامات ثورية جديدة، ولهذا أكد ارتمائه في السياسة الفرنسية من أجل أن تراهن عليه فرنسا، و من جهة أخرى عولت عليه فرنسا في تعزيز موقعها ووقاية تونس من التوجهات المغاربية والقومية العاصفة (15).

- إن تجربته الفاشلة في القاهرة ومحنة السجن دفعته إلى استبعاد وحدة الحركة المغاربية ودعمها عربيا، وحكم على خيارات الوحدة بالفشل, وكان يعتبر العمل العسكري مجرد وسيلة ضغط تفعّل الخيار السياسي، وفي إطار تجنب أي احتواء لزعامته اختلف مع الخطابي ودعا إلى تجديد ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، ووضع حد للتدخلات المصرية في الشؤون المغاربية.

إن مشروع الكفاح المغاربي المشترك الذي انتعش بتجذر الثورة الجزائرية واجهته السياسة البورقيبية والمخططات الفرنسية، وإن كان يصعب علينا اتهام بورقيبة بالتورط في دعم المخطط الفرنسي بطريقة مباشرة ،فإنه يكون سهل على الإدارة الفرنسية تجاوز المخاطر التي كانت تحدق بها، فهو استقل بسياسته القطرية عن الاستراتيجية المغاربية، وكان متسرعا في التضحية بإنجازات المقاومة العسكرية مقابل الاتفاق المبدئي على مجرد الاستقلال الداخلي، وبسبب ذلك تلقت سياسته معارضة جنينية

15 - أنظر شهادة حسين التريكي ، سبق ذكرها

داخل الحزب وفي صفوف المقاومة ،وانتقادا لاذعا في القاهرة عبرت عنه لجنة تحرير المغرب العربي بما فيها قيادة الثورة الجزائرية([16]).

لقد بدأت مهمة جمع أسلحة المقاومين في الفترة ما بين 30 نوفمبر و 10ديسمبر 1954، وواجهت اللجنة المشرفة صعوبات كثيرة ،وكانت الحصيلة استسلام 2713 مقاوم وتسليم 2105 قطعة سلاح ،وهكذا استجاب كثير من قادة المقاومة لنداء تسليم السلاح تحت تأثيرات مختلفة واضعين ثقتهم في المفاوضين السياسيين، لكن واحدا من أشهر قادة المقاومة وهو الطاهر لسود أعلن رفضه لتسليم السلاح ودعا المقاومين إلى عدم وضع الثقة في فرنسا, وإلى مواصلة الكفاح حتى تتحقق نتائجه في الميدان، وقد عبر بورقيبة عن تخوفه من هذا الأمر, وأرسل ابنه ليحث لسود على الاستجابة لنداء الحزب([17]) غير أن الطاهر لسود أصر على موقفه وأبدى عدم ثقته في المفاوضات ,وإيمانه بضرورة التحرير الشامل في هذه المرحلة الحساسة، مؤكدا أن اشتعال ثورة الجزائر يدعم كفاح تونس وجميع المغاربة ([18]), وتجاوب مع موقفه هذا جنوده

16 - انظر ابراهيم طوبال :البديل الثوري في تونس ,ط1,دار الكلمة للنشر ,بيروت ,1979, ص ـ ص47.46

17 - Habib BOURGHIBA , op. cit, p . 304

18 -انظر, شهادة الطاهر لسود، مسجلة عام 1993 ومحفوظة بالمعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، منوبة ، وكذا شهادته للباحثة التركي ، عروسية التركي : المرجع السابق، ص ـ ص، 140 ـ 141 .

الذين يناهزون السبعين مقاوما ،وعدد من قادة الفرق والمقاومين الذين أكدوا علنا مؤازرتهم لموقف الطاهر لسود, ومنهم قائد ثوار الحوايا محمد قرفة الذي احتفظ بالأسلحة الصالحة ولم يسلم إلا القطع الفاسدة، ويبدو أن هذه الظاهرة صاحبت عملية التسليم في مناطق عديدة, وأقرها أفراد من اللجنة المشرفة على جمع الأسلحة ,والذين أظهروا امتعاضهم من هذه الخطوة المريبة ([19])

وقد أعلن الطاهر لسود عن انتقاله إلى الحدود التونسية ـ الجزائرية لمساندة الثورة الجزائرية، وتوجهت بدورها العناصر الجزائرية المقاومة لتلتحق بصفوف الثورة الجزائرية,وقد كانت هذه العناصر الثورية تؤمن بالمعركة المغاربية المشتركة أينما كان ميدانها ومؤطروها, وتستند في ذاك إلى مرجعية لجنة تحرير المغرب العربي.

وأبدى قادة الحزب الدستوري الحر المتمسكون بالخيار الثوري تحفظهم على إجراء تسليم الأسلحة،ولم يكونوا مرتاحين لفصل القضية التونسية ولا لمنحى المفاوضات، وتجنبا لأي انشقاق داخلي قبلوا بمبدأ تسليم الأسلحة كرها، وكان من الصعب إقناع المناضلين التونسيين بخيارات بورقيبة, خاصة العاملين في لجنة

19 - نذكر على سبيل المثال المناضل محمد الحبيب المولهي المكلف من قبل الحزب برئاسة لجنة جمع السلاح ، وشهادته مهمة في موضوع الاحتفاظ بالأسلحة وتسليمها للجزائريين ، أنظر, الحبيب المولهي : الوطن والصمود ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991 ، ص – ص، 199 - 200

تحرير المغرب العربي الذين آمنوا أن الثورة الجزائرية بثت الروح من جديد في مبادئ اللجنة, وأنها أكدت التصميم على خوض المعركة الموحدة ضد العدو المشترك(,وقد عبر الكثير منهم عن قناعاتهم النضالية بوحدة المعركة, وقد جاء في رسالة المناضل التونسي مراد بوخريص الموجهة إلى الرشيد إدريس تأكيد على هذا التوجه "...هذا وقد جاء بعد ذلك الحدث العظيم وثارت الجزائر الباسلة في أول نوفمبر ,وتوحد الكفاح المسلح في كامل شمال إفريقيا ،وهرع عدد من فرق جيش التحرير التونسي وأخذت تقاتل إلى جانب قوات جيش التحرير الجزائري منذ اليوم الثاني من نوفمبر "([20]). كما أن شعور التضامن الوحدوي كان يدفع إلى توحيد الموقف وتنسيقه في إطار مكتب المغرب العربي بالشكل الذي يحقق مطامح شعوب المنطقة، فتشجع الوفد الخارجي للجبهة للاعتماد على المناضلين التونسيين في نشاطه الدبلوماسي والسياسي الخارجي ([21]) ,و باشر أحمد بن بلة تنسيق جهوده في تمرير الأسلحة عبر ليبيا وتونس مع

20 -انظر نص الرسالة المؤرخة بتاريخ 05 نوفمبر 1954 ، الرشيد إدريس : في طريق الجمهورية , ط 1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، 2001، ص330 .

21- انظر شهادة محمد يزيد :الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962, ندوة نظمها المركز و د ب ح و ث 1954، الجزائر، 1996، منشورات المركز و د ب ح و ث 1954، الجزائر, 1998, ص، 117

أنصار صالح بن يوسف ([22]), وتحت تأثير العلاقات التي نسجها في القاهرة مع قادة الثورة الجزائرية وجه صالح بن يوسف انتقادات حادة لخطوات سير هذه المفاوضات,وقد بعث بتقرير إلى هياكل الحزب بالداخل في 14ديسمبر 1954 أعرب فيه عن عدم ارتياحه لمبدأ المفاوضات بين الحكومتين التونسية والفرنسية، خاصة وأن ثقة زائدة قد وضعت في فرنسا بقبول تسليم السلاح ,وأكد نشدان تونس لمبدأ الاستقلال التام: "لم يضح الوطنيون ولم يستشهدوا للمطالبة بالاستقلال الداخلي إنها مرحلة اجتزناها، واجتازها الشعب، فكيف بنا بعد أن بعثنا بإخواننا إلى الموت من أجل الاستقلال نصبح نكيل المرابين على اعتدالنا وتراجعنا دون أي مبرر ؟ "([23]) ,وهدد في بيان أصدره في مطلع سنة 1955 بالعودة من جديد إلى حمل السلاح مقدما مقترحاته التي لا تقف على حدود الاستقلال الذاتي بل تؤكد على السيادة التامة لتونس([24]).

ويمكننا أن نؤكد على ضوء تتبع مواقفه أنه بدأ منذ بداية عام 1955يعيد قراءة حساباته ويصطدم بسياسة بورقيبة ويندمج في المشروع المغاربي الشمولي ,ولم يعلن ذلك صراحة إلا عقب الإعلان

22 - انظر فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ،دار المستقبل العربي ،القاهرة 1984، ص99

23 - انظر, عمار السويح :عواصف الاستقلال ،رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي ، مطبعة الرشيد ،تونس ، 2001, ص 85

24 - انظر منصف الشابي: المرجع السابق، ص.ص، 145 . 146.

عن اتفاقية الاستقلال الداخلي في 3 جوان 1955.

وقد كسب ابن يوسف الدعم المصري وارتبط بعلاقات وثيقة مع ممثلي الوفد الخارجي الجزائري في القاهرة من اجل تنسيق مهمتين أساسيتين هما: تشكيل لجنة مشتركة جزائرية تونسية في ليبيا لاستقبال وتمرير الأسلحة يشرف عليها عبد العزيز شوشان, وحضور مؤتمر باندونغ بوفد مغاربي يمثل الأقطار الثلاثة إعزازا للقضية الجزائرية وتأكيدا على وحدة القضايا المغاربية([25])

ويتضح من خلال ما سبق أن معارضة الحل البورقيبي للقضية التونسية, وتأكيد الالتحام العسكري والسياسي المغاربي تجسد في المرحلة الأولى من اندلاع الثورة الجزائرية وترسخ بعد إعلان اتفاقية الاستقلال الذاتي، وعلى الرغم من غموض المرحلة وشح المصادر ،إلا أنه يمكن التشديد على وجود علاقات مبكرة ومثمرة نسجتها المقاومتين في الميدان قبل مرحلة ميلاد جيش التحرير التونسي.

ثانيا : التضامن المشترك الجزائري ـ التونسي واثره على تطور العلاقات

بحكم العلاقات المتينة التي كانت تربط الشعبين الشقيقين حفل كفاح البلدين ضد الاستعمار بكثير من مظاهر التضامن والتآزر تجسدت أسمى معانيها في مشاركة الجزائريين في المقاومة

25 - المرجع نفسه : ص.ص، 151 ـ 158.

التونسية منذ عام 1952,ومشاركة التونسيين في الثورة الجزائرية منذ اندلاعها ،وقد كانت تتواجد بتونس جالية جزائرية معتبرة أكدت حضورها السياسي والثقافي, ولم تكن الحدود الوهمية لتفصل سكان المناطق الحدودية عن إخوانهم التونسيين، إذ ظلت مظاهر التضامن والتزاور والتواصل قائمة ،وأخذت إبعاد النصرة الأخوية صبغتها المغاربية بتأثير واضح من لجنة تحرير المغرب العربي، ولم يكن مستغربا أن تلتحق كثير من العناصر الجزائرية بشكل فردي بصفوف المقاومة التونسية، ويمكننا أن نعزو أسباب ذلك ـ واعتمادا على تفسيرات الفاعلين ـ ([26]) إلى:

ـ الرغبة في الجهاد والتوق إلى تحرير المغرب العربي ،إذ جندت لجنة تحرير المغرب العربي وبتوجيه من الخطابي والحركات الوطنية أعداد غفيرة من الشبان المغاربة شاركوا في حرب فلسطين عام 1948, ودعموا صفوف المقاومة التونسية ومنهم لزهر شريط ،والحاج عبد الله...الخ

ـ الاحتكاك الجواري على طول الحدود، والعلاقات العائلية أكدت الشعور بالمصير المشترك.

ـ تفاعل الجالية الجزائرية في تونس مع الحركة الثورية ,وتجند

26 -كثير من الشهود المستجوبين يؤكدون على هذه الأسباب الرئيسية ، استجواب مجموعة من المجاهدين بسوق أهراس يوم 15 جويلية 2005 (لودجاني يوسف ,بيزار محمد الطيب) ,واستجواب مجموعة أخرى بتبسة يوم 16 جويلية 2005 (فارس علال ، سماعلي عثمان ,احمد الزمرلي)

كثير من عناصرها في صف المقاومة التونسية, وقد كانت مشاركتهم فاعلة محت الدور السلبي لفئات أخرى استقدمت لخدمة الوجود الفرنسي.

- ارتماء المناضلين اللاجئين الهاربين من العدالة الفرنسية في أحضان المقاومة التونسية التي كانت متنفسا لهم في التعبير عن وطنيتهم الجامحة التي لا تفرق بين تونس والجزائر.

وقد كانت المشاركة الجزائرية في المقاومة التونسية متميزة بحضورها القوي، ودورها اللافت للانتباه، فطوال سنوات المقاومة قدم الجزائريون تضحيات جسام ،واستشهد الكثير منهم في جبهات القتال ،وقد كانت بطولات بعضهم محل فخر التونسيين ، وإشادة قادة المقاومة التونسية ,ومنهم الطاهر لسود ،والشرايطي لزهر، الساسي لسود والمحجوب بن علي, إذ تولى لزهر شريط قيادة فوج من الجزائريين وعين المناضل لدجاني يوسف كاتبا ومساعدا للساسي لسود ([27])

وقد كانت المناطق الحدودية الشرقية للجزائر ملجئا آمنا للمقاومة التونسية، تتموّن منها وتجمع السلاح وتعود لشن هجماتها على العدو ،وتؤكد مختلف الشهادات على أنها وجدت كامل

27 - انظر شهادة لودجاني يوسف، مقابلة مع الباحث، سبق ذكرها .

الدعم والمؤازرة من قبل السكان الجزائريين([28]) ،وتجسم هذا التضامن الأخوي بشكل عفوي، وأحيانا بتوجيه من مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية المحليين.

وقد تأثر المناضلون الجزائريون أيما تأثر باندلاع المقاومة التونسية ,وبتأخر الجزائر عن الركب، وزاد انشقاق الحزب الثوري في إلحاحهم على ضرورة اتخاذ الموقف بتفجير الثورة ،وكانت أصوات قادة المنطقة الحدودية الشرقية أكثر اندفاعا في حسم قرار الثورة أثناء اجتماع الاثنين والعشرين التاريخي([29]).

لم يحقق حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية نتيجة ملموسة في تنسيق المقاومتين ،إذ كان رد فعل صالح بن يوسف سلبيا على مقترح مبعوثي الحركة عام 1953، كما انه لم يتخذ موقفا من قيام المقاومة التونسية بجمع أسلحة السكان الجزائريين في المناطق الحدودية ،وأحس بعض المناضلين

---

28 - انظر شهادة عمار بن عودة في الملتقى الوطني الأول لتاريخ الثورة ، حزب جبهة التحرير الوطني : الطريق إلى أول نوفمبر كما يرويها المجاهدون، اشغال الملتقى الاول لكتابة تاريخ الثورة ،تنظيم حزب جبهة التحرير الوطني ،الجزائر ، 1981 ، منشورات حزب جبهة التحرير الوطني ،دم ج ،الجزائر ، ج3 ، ص 61. والطاهر سعيداني : القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض ، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص 34

29 - أكد على ذلك المجاهد باجي مختار في اجتماعاته خاصة اجتماع الاثنين والعشرين التاريخي أنظر, جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة (تبسة): دور مناطق الحدود إبان الثورة الجزائرية ,أشغال الملتقى الوطني الأول، تبسة، 2000، مطبعة عمار قرفي, باتنة، 2001 ,ص ـ ص 59ـ61

بانعكاسات ما تقوم به الدوريات التونسية من سلب للأسلحة والذخيرة على مشروع الثورة التي يستعد لها الجزائريون ،هذا الأمر شغل بال ساعي فرحي منذ بداية عام 1954 ،فعقد اجتماعا لمناضلي تبسة , واستشار ابن بوالعيد في الأمر، فأشار عليهم بمساعدة الثوار التونسيين مع الحرص على عدم تسليمهم الأسلحة بطريقة عشوائية لأن الجزائريين سيكونون بحاجة إليها قريبا، وتذكر شهادة دادة الطيب أن ساعي فرحي وضع خطة بمساعدة مناضل من أبناء المنطقة يدعى عمارة إبراهيم كان قائدا لدورية تونسية مكلفة بجمع السلاح, واتفق معه على الاستمرار في جمع الأسلحة وتقديم وصلات باسم الحزب الدستوري الحر على أن تجمع لصالح الثورة الجزائرية ,واستنفر ساعي فرحي جهوده على طول المنطقة الحدودية من سوق اهراس إلى الوادي ,وجمع 36 قطعة سلاح ([30]).

وعشية اندلاع الثورة اصدر ديدوش مراد وباجي مختار تعليمات صارمة إلى مواطني المناطق للحدودية بالا يسلموا أسلحتهم للتونسيين، وأرسل باجي مختار عددا من مساعديه منهم محمد بكوش والحاج علي لمحاورة التونسيين بخصوص هذه المشكلة, وإقناعهم أن الجزائر المستعدة لإيوائهم واستقبالهم في أرضها غير مستعدة لتسليم أسلحة مواطنيها لأنها أمست في أمس

30 - المرجع نفسه , – ص 58 - 60

الحاجة إليها ،وتفهم الثوار التونسيون مبررات الموقف فكفوا عن طلب السلاح([31])، ويبدو أن القائد الساسي لسود لم يعجبه موقف المناضلين الجزائريين فأرسل في أكتوبر 1954 كاتبه الجزائري لدجاني يوسف لتبليغ رسالة إلى الحاج عبد الله بن عيسى مضمونها الدعوة إلى تجاوز الأنانيات القطرية خدمة لمصلحة القطرين الشقيقين ،وحسب شهادة لدجاني فان الساسي لسود وبتوجيه من صالح بن يوسف وعلي الزليطي كان يعمل من أجل التنسيق بين كفاح القطرين، وأنه كان يظهر حماسا كبيرا لذلك لكن وقف القتال وقف في وجه هذا التنسيق ([32]), ويبدو أن العلاقة بين المقاومة التونسية والمناضلين الجزائريين فرضها الجوار والاحتكاك المتزايد، وكانت عفوية ولم تخضع لأية اتفاق رسمي يؤمنها ويضبطها، وقد اعتزم ابن بلة تدعيمها أكثر في الفترة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية بتكليفه للضابط الحاج علي بالدخول إلى سوق اهراس والتحضير لاندلاع الثورة بالتنسيق مع الثوار التونسيين لكنه اغتيل وهو ينجز مهمته في ظروف غامضة([33]), وقد كان بإمكان محفزات التضامن والتنسيق

31 - انظر محمد زروال : اللمامشة في الثورة ,ط1 ، دار هومة ،الجزائر ،2003، ص ص، 67 ـ 68.

32 - انظر شهادة لود جاني يوسف ، مقابلة مع الباحث،.

33 - هو أحد الظباط المكونين في المشرق ، شارك في المقاومة التونسية واختاره ابن بلة لتأدية مهمة التنسيق لكنه اغتيل بسبب مزاحمته للقادة المحليين .

تجسيد خيار المعركة الموحدة غير أن السياسية الفرنسية الحاذقة وقفت في وجه ذلك بتخطيطها لنزع أسلحة الثوار التونسيين .

ثالثا : اندلاع الثورة الجزائرية واثره على عودة المقاومة من جديد في تونس.

كان لاندلاع الثورة في الجزائر دور بارز على تشجيع التونسيين للعودة من جديد للمقاومة ورفض مشروع الاستقلال الذاتي، وفي هذا السياق تشير المصادر الاستخباراتية الفرنسية إلى تحرك متزايد للثوار من الجانبين على طول الحدود الشرقية الجزائرية عشية اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر 1954، وقد سجلت حوادث وهجومات في تبسة ونواحيها ,ووصفت الوضع بالمتدهور([34])يتعلق الأمر بحركية الثوار التونسيين وبعودة الثوار الجزائريين الذين حاربوا إلى جانب التونسيين ورفضوا تسليم أسلحتهم ،إذ عاد لزهر شريط يقود مجموعة من خمسة عشر فردا , ترقب طويلا الوضع ثم خرج يوم 17 أكتوبر 1954 ليشن هجوما على منطقة السطح ([35])، كما أن قادة أفواج ناحية سوق اهراس حاربوا في صف المقاومة التونسية, وأقاموا صلات بقادتها (الحاج عبد الله، الحاج علي ،جبار عمر) ,وعدد كبير من الثوار

34 - انظر ، محمد زروال : المرجع نفسه ، ص ، ص 77 ، 78.

35 - انظر مجموعة باحثين: دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية, مرجع سابق,.ص,65.

الجزائريين التحقوا بالوطن للمشاركة في اندلاع الثورة بسوق اهراس ،والنمامشة([36])، وكذلك الأمر بالنسبة للجيلالي بن عمر والطالب العربي اللذين كانا على رأس مجموعة جنود حاربوا في تونس اتصلا بقيادة الأوراس وشكلا الأفواج في وادي سوف والمنطقة الحدودية ([37]) ،ولم تواجه عودة هؤلاء أية عوائق وقد عادوا بأسلحتهم ,ويصعب علينا التعرف على أعدادهم, كما لا يمكننا التسليم أنه كان ضمن صفوف العائدين عناصر تونسية رغم تأكيد المصادر التونسية على ذلك ,ونستبعد التحاق عدد كبير من المقاومين التونسيين بالثوار الجزائريين قبل اندلاع الثورة, وأما بعد ذلك فقد قدمت عروض كثيرة للالتحاق ،وأعلن الطاهر لسود انضمامه إلى صفوف الثورة الجزائرية في ديسمبر 1955 ([38]) ،

لقد رفض الطاهر لسود تسليم أسلحة المقاومين ودعا إلى مواصلة المعركة حتى النهاية, واعتبر إيقاف القتال خيانة لمبادئ الاستقلال التام وللجزائر في هذا الوقت الحرج ([39]) ,وتحصن بمجموعته في جبل سمامة قرب الكاف رافضا محادثة أي أحد من

---

36 - انظر ، الطاهر سعيداني : المصدر السابق ، ص 34

37 - انظر ، عوادي عبد القادر: الشهيد قمودي العربي ، مجلة أول نوفمبر ، عدد 77 (1986)، الجزائر, ص 50 .

38 - نعتمد في ذلك على شهادات الفاعلين من الجانبين، خاصة شهادة فارس علال ، مقابلة مع الباحث، تبسة 16 جويلية 2005، والطاهر لسود، سبق ذكرها.

39 - انظر , شهادة الطاهر لسود, سبق ذكرها

السياسيين والمقاومين ،وكان الرجل متميزا في تفكيره عن غيره من السياسيين والثوار، فمواقفه الثورية وعدم ثقته في المحتل ونظرته التضامنية مع الجزائر ولمحاربة العدو المشترك كلها عوامل ساهمت في بلورة موقفه، لكن هل التحق بمجموعته فعلا بالثورة الجزائرية ؟.

يردد الباحثون التونسيون ذلك و كأنه أمر مسلم ([40]), خاصة وأن شهادة الطاهر لسود تذكر أنه انضم إلى الثورة الجزائرية لمدة شهرين ,وأنه اشرف على قيادة فرقة من أربعمائة مجاهد جزائري وتونسي في سوق اهراس ([41]) ,غير أن التنقيب في هذا الموضوع واستقراء المصادر الجزائرية ([42]) يؤكد عدم وجود أية شواهد عن التحاقه بصفوف الثورة ،فأولا لم يذكر قادة الثورة الجزائرية ومسؤولوها المحليون حصول ذلك, وثانيا تنفي استجوابات الشهود أن يكون لسود دخل إلى القطر الجزائري، وثالثا أن حدوث هذا الالتحاق كان بإمكانه إفراز انعكاسات واضحة ولم نسجل أي تأثير بارز على الجانبين.

ويمكننا أن نحمل شهادة الطاهر لسود التي أوقعت اللبس أنها تتعلق بمرحلة الثورة الثانية حيث كان التحام والتحاق

40 -أنظر عروسية التركي:المرجع السابق ،ص 142 ، وعمار السوفي :المرجع السابق، ص 104 .

41 - أنظر شهادة الطاهر لسود ، سبق ذكرها

42 -نعتمد شهادات الفاعلين الجزائريين ، يوسف لدجاني ، وعلي فارس خصوصا.

التونسيين واضحا ،أو أنه اكتفى بالمرابطة قرب الحدود(الكاف), والتنسيق مع الثوار الجزائريين، وأراد أن يكسب مسألة التحاقه بصفوف الجزائريين بعدا دعائيا يعزز موقفه ،صحيح أن أغلب القيادات المحلية التي كانت تنسق معه استشهدت(جبار عمر، الحاج عبد الله) ,وغابت معها كثير من الحقائق ، لكننا نعرف أن قيادة منطقة الأوراس كانت شديدة الحرص على التنسيق والتوحيد مع التونسيين ،ولو دخل الطاهر لسود حقيقة الأراضي الجزائرية لما أضاعت فرصة التنسيق معه،و الذي تؤكده الشهادات في هذا الإطار أن اتصالات عديدة نظمها الطاهر لسود مع القادة المحليين وتعلقت بمساعدة الثورة الجزائرية([43]), وأن قيادة الأوراس وابن بولعيد شخصيا اهتم بمسالة العلاقة مع الثوار التونسيين ,وأرسل بعد شهرين من اندلاع الكفاح فوجا مسلحا إلى الحدود الشرقية موفدا إلى الطاهر لسود لتسليمه رسالة تتعلق بدخوله إلى الجزائر, لكن الاتصال انقطع في جبال تبرقة إثر نشوب معركة قرب الجبل المتواجد به, فلم يكمل المرسول موسى رداح مهمته التي طالت ([44]).

ويتأكد لنا أن التحاق المقاومين التونسين بالثورة الجزائرية

---

43 - انظر شهادة الوردي قتال ، مقابلة مع الباحث، تبسة, 17 جويلية 2005.

44 - انظر شهادة المجاهد موسى رداح في الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة ، حزب جبهة التحرير الوطني :الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة ، منشورات قطاع الإعلام والثقافة والتكوين ، الجزائر ، ج2 , ص.ص، 119 ـ 120.

سيتجسد في مرحلة ثانية عندما يكتسي التنسيق الجزائري التونسي صبغة رسمية ويقطع أشواطا مهمة في عهد الثورة اليوسفية منذ نهاية عام 1956, أما في المرحلة الأولى لاندلاع الثورة الجزائرية فان الاستفادة من خدمات الثوار التونسيين والجزائريين في القطر التونسي اقتصرت على المجال اللوجستيكي، إذ اجتهد ابن بلة انطلاقا من طرابلس واعتمادا على مساعدات الضباط التونسيين في إدخال الأسلحة إلى الجزائر,و اعتمدت في وقت مبكر الشبكات التونسية في تهريب الأسلحة ,ومهد المناضل عبد الله العبعاب لأبن بلة كسب ثقة شيخ قبيلة نالوت الليبية الذي وضع كل إمكانياته لتمرير الأسلحة عبر مسالك الصحراء ([45]).

وكانت إستراتيجية قيادة الثورة الواضحة في تعليمات ديدوش مراد وبن بوالعيد تؤكد على مسالة الحفاظ على مناطق الحدود متنفسا للثورة وتنبه على عدم إثارة انتباه العدو إليها ([46])في السنة الأولى لاندلاع الثورة الجزائرية لم تحد إستراتيجية قادة النواحي الحدودية عن ذلك ،إذ تركزت اهتماماتهم على الاستفادة من المقاومة التونسية مثلما استفادت هي من الجزائريين تسليحا وتموينا ولجوءا، ونهض بهذه الأدوار في الجبهات الثلاث

45 - انظر ، عمار السوفي : المرجع السابق ، ص176.

46 - انظر شهادة الوردي قتال ، مقابلة مع الباحث، ومحمد زروال : المرجع السابق ، ص 50

بشكل واضح جبار عمر وبوقلاز في سوق اهراس، وساعي فرحي والوردي قتال في النمامشة, والجيلالي بن عمر والطالب العربي في الحدود الجنوبية، ويذكر يوسف لدجاني انه أرسل من قبل الحاج عبد الله وجبار عمر لطلب الأسلحة من الساسي لسود المشرف على لجنة جمع أسلحة المقاومين، وانه وافق على جمع التبرعات للمجاهدين الجزائريين, لكنه اقترح عليه ولأسباب شخصية بيع الأسلحة للثورة الجزائرية، وبتدخل من الطيب المهيري سلمت له كمية من الأسلحة " ذهبت إلى عبد القادر رزوق وأخذت منه ثمانين قطعة بمركز سريانة ومنحني يونس البيري ستة قطع ,وحصلت على عشر قطع أخرى , ومررنا هذه الكمية إلى الحدود وسلمناها في بداية 1955 إلى بلقاسم قندوز المكلف بتسليح منطقة سوق اهراس ([47]), وللغرض نفسه أرسل ساعي فرحي كل من عمر البوقصي والجموعي البسكري إلى الرديف ,واقتنيا بعض القطع من الأسلحة([48]), وفي بداية عام 1955 تنقل عمارة بوقلاز إلى العاصمة تونس لربط الاتصال بابن بلة والتنسيق مع المسؤولين التونسيين في مجال التسليح والتموين ,فلقي ترحابا من الحزب الدستوري الحر, واشترى أسلحة من تونس ومدنين ليجهز بها

47 - انظر شهادة لودجاني يوسف ، مقابلة مع الباحث .

48 - انظر محمد زروال : المرجع نفسه ، ص 55.

فوجه([49]), وفي الفترة نفسها قرر بن بوالعيد دخول تونس عابرا إلى ليبيا بحثا عن السلاح, مصطحبا معه دليلا من تبسة ومعتمدا على معارفه الجزائريين المستقرين في تونس, وهذا الأمر يؤكد انه لم تكن له علاقات وثيقة مع عناصر المقاومة والمسؤولين السياسيين ,وقد تعرض بسبب مغامرته هذه للمخاطر ([50])

الخاتمة

من خلال تتبعنا لمسيرة علاقة المقاومتين التونسية والجزائرية خلال المرحلة الأولى يمكننا التشديد على الاستنتاجات الآتية :

- إن علاقات التضامن والتآزر التي تجمع البلدين الشقيقين كانت تدفع باستمرار الى خدمة المشروع الوطني المغاربي، وفي هذا السياق هب الجزائريون لنصرة المقاومة التونسية وانخرط كثير من التونسيين في الثورة الجزائرية .

- لقد استثمرت علاقات التنسيق السياسي والجوار الجغرافي في خدمة مطامح حركة المقاومة والثورة، وقدمت أشكالا مختلفة من الدعم خاصة في مجال التسليح واعتماد القواعد الخلفية والتنسيق

---

49 - انظر استجواب العقيد عمارة بوقلاز مع مجلة أول نوفمبر ، عدد 112 – 113 (جانفي ، فيفري 1990) ص – ص 11 – 12.

50 - انظر شهادة عمر المستيري. مجموعة باحثين: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ,منشورات جمعية اول نوفمبر لتخليد وحماية ماثر الثورة في الاوراس ، ط1، دار الهدى، عين مليلة ،1999, ص ـ ص، 598 ـ 600 وشهادة فارس علال ، مقابلة مع الباحث، سبق ذكرها

السياسي الهادف الى تجسيد مشروع وحدة المغرب العربي.

ـ إن العلاقات الجزائرية ـ التونسية خلال المرحلة المدروسة اتسمت بالتلقائية، إذ لم تتحدد ضوابطها وقنواتها، وكانت تكتسي علاقات تضامن جوارية طوال عام 1955، ولما عادت المقاومة إلى تونس عام 1956 أخذت العلاقات بعدا تنسيقيا منتظما بتوجيه من قيادة الثورة وصالح بن يوسف .